

يراها لأول مرة ، وتفكير في الخلق ينتهى إلى الإيمان لأنه يبدأ بالعجب ، ولا يزال أبدا بين العجب والإيمان .

وإن محمدا باعث الإيمان إلى القلوب . لقد كان يجدد إيمانه كما يجدد عجبه كل يوم . وكان يدعو الله فيقول : « يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك » . . . وقيل له في ذلك فقال : « إنه ليس آدمى إلا وقلبه بين أصبعين من أصابع الله . فمن شاء أقام ومن شاء أزاغ » .

حركة متجددة في الحس وفي الفكر وفي الضمير .

فلا انقطاع عن الحس للعبادة كل الانقطاع .

ولا انقطاع عن الحس للتفكير كل الانقطاع

وإنما هو تفكير من يشطره العمل ، وليس بتفكير من ترك العمل ليوغل في الفروض . ومذاهب الاحتمال والتشكيك : ثلث أيامه لربه وثلثها لأهله ، وثلثها لنفسه . وما كان في فراغه لنفسه ولا لأهله شيء يخرج عن معنى عبادة الله والاتصال بالله ، على نحو من التعميم .

* * *

بهره الجمال من صباه : جمال الشمس والقمر والنهار والليل والروض والصحراء ، وجمال الوجوه التي يلمح عليها الحسن فيطلب عندها الخير . إنما هو الخير على كل حال ما قد طلب من الجمال . وإنما جمال الله هو الذى قد كان يدعو إليه ، كلما نظر إلى خلق جميل .

فكر في الخلق فأمن بالخالق واستقر هنالك لا يتقدم ولا يتأخر . فقال : « إن الشيطان يأتي أحدكم فيقول : من خلق السماء ؟ فيقول : الله ، فيقول : من خلق الأرض ؟ فيقول : الله . فيقول : من خلق الله ؟ فإذا وجد ذلك أحدكم فليقل : آمنت بالله ورسوله » .

تلك هي نهاية التفكير التي ينتهى إليها عقل مستقيم خلق لعبادة عامل ، وتعليم الناس عبادة وعملا ، ولم يخلق ليوغل في الفروض ويتقلب بين الشكوك . .